المصـــــدر :	المدينة المنورة		
التـــاريخ :	11-11-2007	العـــدد :	16272
الصفحـات :	19	المسلسل :	134

ملف صحفي

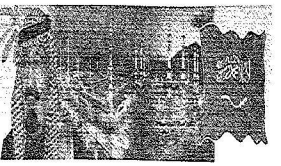

جولة الملك عبدالله بن عبدالعزيز

قراءة في جولة خادم الحرمين الشريفين الأوروبية

التطابق والتكامل في وجهات النظر أهم دلائل نجاح الجولة

الملك في زيارته لألمانيا

خادم الحرمين ورئيس الوزراء الايطالي

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 11-11-2007 العـــدد : 16272
الصفحـات : 19 المسلسل : 134

إبراهيم عباس - جدة

وضع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في أولويات اهتمامه التواصل مع قادة أوروبا والدول الفاعلة فيها ، من خلال معرفته العميقة بالدور الأوروبي التاريخي والمهم الذي ظلت تلعبه هذه القارة في معادلات السلم والحرب على مر العصور ، كما أن درايته العميقة بالثقل الأوروبي الحضاري والدرجة التي وصلت إليها أوروبا من التقدم والرقي في العصر الراهن - وهو ذلك التقدم الذي شمل كافة المجالات العسكرية والأمنية والصناعية والعلمية والتقنية - شكلا دافعًا قويًا للقيام بجولته الأوروبية التي تعتبر الثانية في أقل من عام. الجولة اعتبرت ، من جهة أخرى ، تدشينًا لمرحلة جديدة من الشراكة الإستراتيجية للمملكة مع الدول الأوروبية التي لم يزرها المليك المفدى في جولته الأوروبية الأولى التي قام بها في شهر يونيو الماضي، وشملت فرنسا وإسبانيا ورومانيا ، وأيضًا امتدادًا للحوار مع أوروبا الذي يهدف إلى دعم وتعزيز التعاون المشترك في كافة المجالات وعلى الأخص المجالات الاقتصادية.

أهداف سامية

المتتبع لجولات خادم الحرمين الشريفين شرقًا وغربًا ، ومنذ تقلده لمقاليد الحكم في بلاده ، لابد وأن يلاحظ أنها تضم دولاً مؤثرة في العالم سياسيًا واقتصاديًا ، وأيضًا تقنيًا وصناعيًا ، وذلك بهدف الاستفادة من تقدم تلك الدول في تلك المجالات تدريبًا وابتعاثًا ونقلاً للتقنية بهدف توطينها في المملكة، وأن تلك الجولات لم تكن تسعى إلى خدمة مصالح المملكة وعلاقاتها الثنائية مع تلك الدول وحسب، وإنما كانت تضع أيضًا قضايا الأمة العربية والإسلامية محط اهتمامها . لذا فإن المليك المفدى، وكعادته دائمًا حمل هموم أمته وقضاياها في جولته الأوروبية (الثانية) التي شملت المملكة المتحدة وإيطاليا وألمانيا وتركيا، وزاد من أهمية تلك الجولة توقيتها الذي تزامن مع تأزم الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط إلى مرحلة غير مسبوقة.

ليس من الصعب على المراقب ملاحظة أن العديد من الاتفاقيات ومذكرات التفاهم التي وقعها خادم الحرمين الشريفين مع قادة تلك الدول خلال جولته التاريخية تلك ، والتي شملت المجالات الاقتصادية والتجارية والأمنية بالدرجة الأولى رافقها اهتمام سعودي بقضايا المنطقة ، وعلى الأخص قضية السلام في الشرق الأوسط ، وزيادة التعاون الدولي في مكافحة الإرهاب ، وأهمية جعل منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل لتعزيز الأمن والسلام والاستقرار فيها. كما انطوت الجولة على أهمية استثنائية كونها شملت دولة الفاتيكان ، وبما جعل من تلك الزيارة علامة بارزة في مسيرة الحوار بين الأديان والحضارات بعيدًا عن مفهوم «صراع الحضارات» الذي روجت له بعض الأقلام الحاقدة على الإسلام.

مكانة مرموقة

والواقع أن الاستقبال الحافل والحفاوة البالغة التي استقبل فيها خادم الحرمين الشريفين والتي تخطت في غالبية تلك المحطات البروتوكولات المعمول بها في تلك الدول، والمتمثلة في عدة مظاهر ، سواءً باستقبال ولي العهد البريطاني أمير ويلز الأمير تشارلز للمليك في مطار هيثرو ، والأجواء الاحتفائية التي أحاطت باستقباله - حفظه الله - في قصر بكينجهام ، أو في لقائه ببابا الفاتيكان البابا بينديكتوس السادس عشر على مدى قرابة الساعة ، فيما لا تتجاوز لقاءات البابا مع زعماء الدول دقائق معدودات ، وفي استقبال مستشارة ألمانيا أنجيلا ميركل له في المطار واصطحابها له إلى مبنى المستشارية ، وأيضًا في الاستقبال غير العادي الذي قوبل به لدى زيارته تركيا ، المحطة الأخيرة في تلك الجولة.

محطة بريطانيا

لعل أهم ما ميز زيارة خادم الحرمين الشريفين لبريطانيا ذلك الحديث الذي أدلى به عشية الزيارة لهيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) عندما أشار بوضوح إلى تقصير العديد من الدول في جهود مكافحة الإرهاب دون أن يستثني بريطانيا من تلك الدول مشيرًا إلى أن المملكة سبق وأن حذرت بريطانيا من الهجمات الإرهابية التي استهدفتها صيف عام ٢٠٠٥ ، وهو العام نفسه الذي شهد انعقاد المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب الذي تبنته المملكة في فبراير ٢٠٠٥، ودعا إلى إنشاء مركز دولي لمكافحة الإرهاب تحت إشراف الأمم المتحدة كمقترح تقدم به خادم الحرمين الشريفين نفسه ، وحيث رحبت كافة الدول بهذا المقترح لكن دون أن تعمل على تنفيذه على أرض الواقع ، وهو ما يعد تقصير دولي آخر .

وقد جسد خادم الحرمين الشريفين في كلمته التي ألقاها خلال حفل العشاء الكبير الذي أقامته الملكة إليزابيث الثانية لجلالته، والوفد المرافق له الأهداف السامية من زيارته للمملكة المتحدة التي أتت امتدادًا للزيارات الرسمية التي قام بها إخوته الملوك السابقون -رحمهم الله- وحيث يأتي في مقدمة تلك الأهداف دعم الأسس التي قامت عليها العلاقات التاريخية بين البلدين ، والاستفادة من المكانة العلمية التي وصلت إليها بريطانيا في تطوير قدرات ومهارات الإنسان السعودي الناهض ، كون المملكة تؤمن بأن أي تنمية حقيقية يجب أن تبدأ بتطوير الإنسان وتأهيله . الزيارة - من جهة أخرى- جاءت انطلاقًا من إحساس المملكة بخطورة المرحلة الراهنة التي تمر بها المنطقة التي تلوح فيها مؤشرات الحرب والصراعات ، ومعرفتها بدور ومكانة بريطانيا على الخريطة السياسية الدولية باعتبار لندن إحدى عواصم القرار الدولي ، وباعتبارها الحليف الأول للولايات المتحدة ، وما يتطلبه ذلك من التسلح بالحكمة والشجاعة ومعالجة القضايا المتفجرة التي تشهدها المنطقة بروح العدالة والإنصاف تجنبًا للانزلاق نحو حافة الهاوية والإنصاف تجنبًا للانزلاق نحو حافة الهاوية ، «ولذا فهي تمد يدها، بثقة وحزم لكل الأصدقاء الذين يرغبون في تحقيق سلام عادل دائم في منطقتنا وفي بقية المناطق المتفجرة ، وهو ما تتأمله في الحكومة البريطانية التي تترقب منها تقديم العون لإنهاء المأساة التي يعاني منها الأشقاء الفلسطينيون عن طريق سلام حقيقي

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 11-11-2007 العـــدد : 16272
الصفحـات : 19 المسلسل : 134

يصون حقوق كل الأطراف ويقوم على أساس من العدالة ومن قرارات الشرعية الدولية». ورجحت كافة الأوساط تحقيق الزيارة لأهدافها ، لا سيما وأن محادثات الملك مع رئيس الوزراء جوردون براون اتسمت بالواقعية والجدية ، وبما حدا بهيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) وصفها بأنها كانت «اجتماع عقلين» في إشارة واضحة إلى الجدية التي تناولت بها محادثاتهما قضايا المنطقة والعلاقات بين البلدين.

محطة إيطاليا

استمدت زيارة خادم الحرمين الشريفين لإيطاليا على أهمية خاصة نظراً لما تحتله الدولتان الصديقتان من ثقل حضاري واقتصادي على الخريطة الدولية، لا سيما وأنهما يشكلان المهد للحضارتين الإسلامية والرومانية . كما أن الدور الإيطالي في دعم القضية الفلسطينية يعود إلى عقد السبعينيات ، ووصل هذا الدعم إلى درجة متميزة بإعلان البندقية عام ١٩٨٠ الذي اعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني ، ثم تواصل في عهد السلطة الفلسطينية وحافظ هذا الدعم على زخمه رغم تغير الأحزاب الحاكمة في إيطاليا خلال تلك الحقبة الطويلة . ولعل اتفاق وجهات النظر وتقارب المواقف بين روما والرياض إزاء كافة القضايا التي تهم البلدين ، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية ، يعتبر السمة الأهم في العلاقات بين البلدين ، وهو ما عبر عنه السفير الإيطالي لدى المملكة أيوجينو داوريا عشية الزيارة بقوله إن روما تشاطر المملكة موقفها من القضية الفلسطينية فيما يخص بذل الجهود لتحقيق السلام من خلال الرجوع إلى القرارات الدولية وخريطة الطريق، مع إشارته إلى أنها «تحتاج إلى إصلاح وتطوير»، إلى جانب إشادته بالجهود التي بذلتها الرياض للمصالحة بين حركتي فتح وحماس، مبديًا تأييد إيطاليا للمساعي السعودية ومؤكدًا على ضرورة دعم الجهود لإنجاح مؤتمر الخريف المقرر عقده في أنابوليس لما سيلعبه من دور مهم في التقدم باتجاه السلام.

كما لم يفت السفير الإيطالي وحكومته التشديد على مبادرة السلام العربية، التي أقرتها قمة بيروت ٢٠٠٢ وضرورة تضمينها للحلول التي يعول عليها لإنهاء النزاع العربي-الإسرائيلي.

ويمكن الوقوف على تنامي التعاون الاقتصادي بين البلدين الصديقين الذي عززته الزيارة من خلال ملاحظة الزيادة المطردة في حجم التبادل التجاري بينهما ، الذي ازداد من ٤ بلايين دولار عام ١٩٩٦ إلى الضعف عام ٢٠٠٦ .

محطة الفاتيكان

اتجهت أنظار العالمين الاسلامي والمسيحي ظهر الثلاثاء ٢٠٠٧/١١/٦ إلى دولة الفاتيكان عندما التقى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز مع بابا الفاتيكان بينيدكتوس السادس عشر ، وهو اللقاء الذي اكتسب أهمية بالغة كونه الأول من نوعه لملك سعودي مع بابا الفاتيكان وباعتباره لقاء بين شخصيتين رفيعتين على مستوى العالم : الملك عبد الله باعتباره ملكًا للمملكة التي تحتضن الحرمين الشريفين في ثراها الطاهر، والملك الذي يقود الأمة الإسلامية ، والبابا الذي يرأس الكنيسة الكاثوليكية في العالم ، وحيث لا يخفى على أي مراقب الأهمية الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية والإسلامية التي تحظى بها المملكة في جميع المحافل الإقليمية والدولية ، وهو ما أعطى زخمًا إضافيًا لهذا اللقاء الذي أجمعت، وكالات الأنباء الإعلامية بأنه لقاء تاريخي عندما تعززت الآمال بأن يسهم هكذا لقاء في تعزيز الحوار بين المجتمعين المسيحي والإسلامي وتكريس حوار الحضارات وفهم ثقافة الآخر والتعايش السلمي.

والواقع أن زيارة الفاتيكان حملت رسالة سلام ومحبة وتسامح واضحة من لدن خادم الحرمين إلى العالم كله في وقت يشهد فيه هذا العالم تطرفًا بين بعض المغالين من كافة الأديان.

شهادة ميركل

اعتبر العديدون أن الكلمات التي نطقت بها مستشارة ألمانيا أنجيلا ميركل في وصفها لخادم الحرمين الشريفين «أعرف إنكم تقومون بتوطيد العلاقات وتحسينها بين البلدان كلها، وهذا الدور يتمثل في أن كلمتكم مسموعة في العالم»، بأنها تشكل الوصف الأكثر دقة وواقعية للدبلوماسية السعودية في هذا العهد الميمون. وإذا أضفنا إلى هذه الحقيقة ما تمثله المملكة بالنسبة للعالم بشكل عام ، وبالنسبة لألمانيا بشكل خاص سنجد أن الروابط المفترضة بين البلدين الصديقين لا بد وأن تتسم بالمتانة والصلابة لا سيما بما يجمع بينهما من خصائص التقارب وعوامل الالتقاء ، ليس أقلها تشابه التجربة الوحدوية لكل منهما ومتانة اقتصادهما ودورهما في إشاعة أجواء الأمن والسلام والاستقرار في المنطقة وفي العالم أجمع .

والواقع أن أهمية ألمانيا لا تنصب على ثقلها الاقتصادي باعتبارها الاقتصاد الثالث أو الرابع في العالم ، وليس بسبب ثقلها السكاني باعتبارها الدولة الأكثر كثافة سكانية بين دول الاتحاد الأوروبي ، وليس أيضًا بسبب عضويتها ودورها المتزايد في الأمم المتحدة والناتو ، وإنما فوق ذلك كله ، لأنها دولة أوروبية قيادية مؤهلة للعب دور فاعل في القضايا الدولية من خلال استخدام مكانتها لمنع الأزمات وبناء الثقة بين مختلف أطراف النزاع. وقد تصادفت زيارة خادم الحرمين الشريفين لبرلين مع حلول الذكرى الـ (١٨) لسقوط سور برلين، وما أتاحه ذلك من إعادة توحيد ألمانيا وانفتاح للسياسة الخارجية الألمانية على فرص وآفاق جديدة ، سواءً على الصعيد الأوروبي أو على الصعيد العالمي وحيث تقبلت ألمانيا المسؤوليات الدولية الجديدة التي ألقيت على عاتقها بعد التقلبات التي أصابت السياسة العالمية . وهي تعمل الآن بالتعاون مع شركائها في أوروبا وعبر الأطلسي من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان وحوار الحضارات. ويبقى الهدف الأساس للسياسة الخارجية الألمانية في الحفاظ على السلام والأمن في العالم من خلال دورها الفاعل في الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي والناتو . كما تلعب برلين دورًا هامًا على صعيد العمل من أجل معالجة الملف النووي الإيراني من خلال دورها في مجموعة الـ ٦ (٥+١).

ويتجلى هذا الدور بشكل خاص في مساهمة ألمانيا في إعادة الإعمار في أفغانستان بشكل فعال من خلال عدة قنوات. وقد تجاوزت مساهمة ألمانيا في إعادة الإعمار منذ عام ٢٠٠٢ حتى الآن مبلغ ٥٥٠

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 11-11-2007 العـــدد : 16272
الصفحـات : 19 المسلسل : 134

مليون يورو . ومن المقرر مساهمتها في إنفاق ٤٠٠ مليون أخرى حتى العام ٢٠١٠. ويعمل المساعدون والمتطوعون وعناصر الشرطة والدبلوماسيون الألمان في مختلف أرجاء أفغانستان على إعادة البناء السياسي والمؤسساتي والاقتصادي فيها كما تساهم المهمات العسكرية للجيش الألماني في حماية هذه النشاطات، وذلك ضمن إطار قوة الحماية الدولية لأفغانستان إيساف (ISAF). وتعتبر المساهمة الألمانية الكبيرة والأساسية في إعادة بناء أجهزة الشرطة حجر الزاوية لاستعادة الأمن والأمان إلى البلاد . وفي سبتمبر الماضي قامت الحكومة الألمانية بإعادة صياغة خطط عملها في أفغانستان ، لتؤكد من خلالها على أهمية وأولوية إعادة الإعمار الوطني. وكانت المستشارة ميركل قامت بزيارة مفاجئة لأفغانستان الأسبوع الماضي تعتبر الأولى لها ، وحيث التقت خلالها بالرئيس كارزاي ووعدت بالمزيد من الجهود الألمانية في تدريب قوات الشرطة الأفغانية . وأشارت ميركل إلى أن هدف الحكومة الألمانية هو تمكين أفغانستان تدريجيًا من الاعتماد على نفسها داعية إلى إعطاء عملية إعمار أفغانستان صبغة أفغانية أكثر وضوحًا.

قضايا هامة

مباحثات خادم الحرمين الشريفين مع الرئيس الألماني د. هورست كولير والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل في قضايا المنطقة ، وفي مقدمتها تطورات ومستجدات الأحداث في الشرق الأوسط ، وسبل دفع عملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، ومكافحة الإرهاب ، والملف النووي الإيراني بما شهدته من تطابق في وجهات النظر من شأنها أن تدعم توجهات السلام وتعزيز لغة الحوار آلية لحل النزاعات التي تشهدها المنطقة . كما أن إتاحة الزيارة لحكومتي البلدين الصديقين توقيع المزيد من الاتفاقيات ومذكرات التفاهم في المجالات الاقتصادية والسياسية والتعاونية والتدريب المهني ومجال مكافحة الإرهاب، كل ذلك جعل من الزيارة الملكية لبرلين حدثًا غير عاديًا ومنجزًا آخر للدبلوماسية السعودية في الانفتاح على العالم.

نهاية المطاف

تركيا التي جاءت نهاية المطاف في جولة خادم الحرمين الأوروبية الثانية اكتسبت أهميتها من خلال كونها الزيارة الثانية في أقل من عام ، ولا غرابة في ذلك ، فتركيا ذات أهمية كبيرة في منطقة الشرق الأوسط بحكم موقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي يربط بين آسيا وأوروبا ، وبحكم مجاورتها للمنطقة العربية التي تعاني من أزمات عدة لا يمكن لتركيا إغفالها ، خاصة بعد أزمة أنقرة مع حزب العمال الكردستاني . وأيضًا بحكم احتفاظها بعلاقات مع إسرائيل تمكنها من لعب دور الوساطة في النزاع الناشب بين الفلسطينيين والإسرائيليين تارة ، والضغط على تل أبيب للكف عن سياساتها العدوانية ضد الفلسطينيين تارة أخرى.

الزيارة تأتي بعد عقد مؤتمر استانبول لدول جوار العراق ، وقبل عقد المؤتمر الدولي للسلام المزمع عقده في أنابوليس نهاية الشهر الجاري ، وهما مناسبتان تستحوذان على اهتمام الحكومتين السعودية والتركية بما تتطلبانه من تنسيق وتعاون وتشاور، خاصة لجهة اتفاق النظر وتطابق الرؤية بين الرياض وأنقرة حيال كافة قضايا المنطقة ، وهو ما تجلى في بيان الرئاسة التركية الذي نص على أن «وجهات نظر بلدينا ، خصوصًا العراق والقضية الفلسطينية ، ليست متطابقة فحسب ، بل متكاملة ، وأن زيارة العاهل السعودي لها دلالتها الخاصة لجهة إقرار الأمن والاستقرار في العراق ، ولحماية وحدة هذا البلد».

ولذا كان من الطبيعي أن تمتد المحادثات بين خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز مع الرئيس التركي عبد الله غل لتشمل كافة قضايا المنطقة وفي مقدمتها تطورات القضية الفلسطينية وعملية السلام في الشرق الأوسط وضرورة التوصل إلى حل عادل وشامل يمكن الشعب الفلسطيني من إقامة دولته المستقلة على ترابها الوطني وفقًا لمبادرة السلام العربية وقرارات الشرعية الدولية.

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 11-11-2007 العـــدد : 16272
الصفحـات : 19 المسلسل : 134

خادم الحرمين وملكة بريطانيا

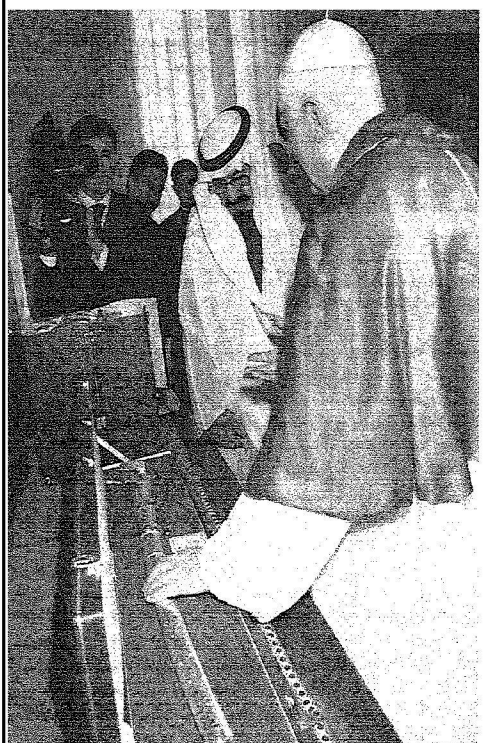

المليك خلال زيارته للفاتيكان